

مختصر ابن كثير

87 - وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُفَاضِبًا فَظَنَ أَنْ لَنْ نَقْدِرْ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ .

- 88 - فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغُمَّ وَكَذَلِكَ نَجَّيْنَا الْمُؤْمِنِينَ .

هذه القصة مذكورة هنا وفي الصافات وفي سورة ن وذلك أن (يونس بن متى) عليه السلام بعثه الله إلى أهل نينوى وهي قرية من أرض الموصل فدعاهم إلى الله تعالى فأبوا عليه وتمادوا على كفرهم فخرج من بين أظهرهم مفاضبا لهم ووعدهم بالعذاب بعد ثلاث فلما تحققوا منه ذلك وعلموا أن النبي لا يكذب خرجوا إلى الصحراء بأطفالهم وأنعامهم ومواشيهم ثم تضرعوا إلى الله وجأروا إليه فرفع الله عنهم العذاب قال الله تعالى : { فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً آمَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَانُهَا إِلَّا قَوْمٌ يُونَسٌ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخَزِيِّ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَعْنَاهُمْ إِلَى حِينَ } .

وأما يونس عليه السلام فإنه ذهب فركب مع قوم في سفينة فلجهت بهم وخافوا أن يغرقوا فاقترعوا على رجل يلقونه من بينهم يتخفرون منه فوقعوا القرعة على يونس فأبوا أن يلقوه ثم أعادوها فوقعت عليه أيضا فأبوا ثم أعادوها فوقعت عليه أيضا قال الله تعالى : { فَسَاهَمْ فَكَانَ مِنَ الْمَدْحُوصِينَ } فقام يونس عليه السلام وتجرد من ثيابه ثم ألقى نفسه في البحر وقد أرسل الله سبحانه وتعالى يشق البحار حتى جاء فالتقى (يونس) حين ألقى نفسه من السفينة فأوحى الله إلى ذلك الحوت أن لا تأكل له لحما ولا تهشم له عطما فإن يونس ليس لك رزقا وإنما بطنك تكون .

له سجنا و قوله : { وَذَا النُّونِ } يعني الحوت صحت الإضافة إليه بهذه النسبة و قوله : { إِذْ ذَهَبَ مُفَاضِبًا } قال الضحاك لقومه : { فَظَنَ أَنْ لَنْ نَقْدِرْ عَلَيْهِ } أي نضيق (هذا التفسير مروي عن ابن عباس ومجاحد وغيرهم واختاره ابن جرير واستشهد عليه بقوله تعالى : { وَمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ رَزْقَهُ فَلَيَنْفَقْ مَا آتَاهُ الله } أي ضيق عليه في الرزق) عليه في بطن الحوت وقال عطية العوفي : أي نقضي عليه فإن العرب تقول : قدر وقدر بمعنى واحد . ومنه قوله تعالى : { فَالْتَّقَى الْمَاءَ عَلَى أَمْرِ قَدَرٍ } : أي قدر و قوله : { فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ } قال ابن مسعود : ظلمة بطن الحوت وظلمة البحر وظلمة الليل وذلك أنه ذهب به الحوت في البحار يشقها حتى انتهى به إلى قرار البحر فسمع يونس تسبيح الحصى في قراره فعند ذلك قال : { لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ } .

إني كنت من الطالمين } وقيل : مكث في بطن الحوت أربعين يوما و قوله : { فَاسْتَجَبْنَا لَهُ

ونجيناه من الغم } أخرجناه من بطن الحوت وتلك الظلمات { وكذلك ننجي المؤمنين } أي إذا كانوا في الشدائـد ودعونا منيبين إلينا . وقال صلى الله عليه وسلم : " دعوة ذي النون إذا هو في بطن الحوت : { لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الطالمين } فإنه لم يدع بها مسلم ربـه في شيء إلا استجاب له " (هذا الحديث جزء من حديث طويل ذكره الإمام أحمد وورواه الترمذـي والنـسائي) . وفي الحديث : " من دعا بدعاء يوـنس استجيب له " قال أبو سعيد يـزيد به { وكذلك ننجـي المؤمنـين } . وعن سـعد بن أبي وقـاص قال : سـمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " اـسم الله الذي إذا دعيـ به أـجاب وإذا سـئلـ به أـعطـى دـعـوة يـوـنس بن مـتـى " قال قـلتـ : يا رسول الله هي لـيوـنس خـاصـة أم لـجـمـاعـة الـمـسـلـمـين ؟ قال : " هي لـيوـنس بن مـتـى خـاصـة ولـجـمـاعـة الـمـؤـمـنـين عـامـة إذا دـعـوا بـهـا أـلم تـسـمـع قولـ الله : { فـنـادـى فـي الـظـلـمـات أـنـ لا إـله إـلا أـنتـ سـبـانـكـ إـنـيـ كـنـتـ مـنـ الـطـالـمـينـ } فـهـوـ شـرـطـ منـ اللهـ لـمـنـ دـعـاهـ بـهـ " (أـخـرـجهـ ابنـ جـرـيرـ عنـ سـعـيدـ بـنـ أـبـيـ وـقـاصـ مـرـفـوـعـاـ وـرـواـهـ أـبـنـ أـبـيـ حـاتـمـ بـمـثـلـهـ)